المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٨/٦/٢٣

الشـــــارع المصـــــرى
وما جرى لحزب الوفـد الجديد

محمد

انور الســادات رجل صادق مع نفسه ، والصدق مع النفس اعلى مراتب الصدق ، لقد رأى السادات أن ثورة ٢٣ يوليو — وهــو أحــد أركانها — قد حادت عن الجــادة ، وجــد اخوانا له فى الجهاد قد تنكروا للمبادىء التى قامت الثــورة من أجلها ، ووجد نفســه فى مركز القــوة ، القــوة التى تستطيع أن تغير بيدها ، فمن رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، وقد بواه الله المكان الاسمى فى هذا البلد الامين ، فبدأ فى اصــلاح ما فســد ، وتقويم ما اعــوج .

وكانت ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، ولم تكن هذه الثورة موجهة ضد رجال الاحزاب القديمة . او ضد السياسيين القدامى ، ولكنها كانت موجهة ضد العناصر التى فسدت من رجال الثورة نفسها ،أى ضد زملاء السادات نفسه ورفقائه فى السلاح ، سواء اكانوا من رجال الصف الاول او الثانى او الثالث يوم قامت الثورة فى فجر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

قامت ثورة التصحيح اذن لتحق الحق **وتبطل الباطل ، فألغى السادات** المعتقلات ، واكتفى بأن يكون هى القضاء العادل النزيه الفيصل السليم لاقامة عدالة افتقدها الوطن منذ فترة طويلة ، وكلنا لايزال يذكر تلك **البقعة** السوداء فى تاريخ مصر والتى عرفت باسم « مذبحة القضاء » ... !!

واعاد السادات النظر فى القضايا التى طوتها يد الظلم طيا ، كما الغى الحراسات ، فعادت الحقوق الى اصحابها ، وايقن المصريون — بعد **أن كادوا يفقدون اليقين — أن الله يمهل ولا يهمل ، وان الحق لابد أن يعلو ولا يعلى عليه .**

ثم كانت الخطوة الكبرى ، واعنى بها خطوة السادات نحو اقامة حياة سياسية ديموقراطية ، حياة يحكم فيها الشعب **نفسه ، بعد أن ظل قرابة عشرين** عاما يعانى من حكم الاستبداد الفردى **أو الاستبداد الجماعى متمثلا فى مراكز** القوة ، او بطش فئة من رجال المخابرات ضلت طريقها المستقيم .

وشعر المصريون بدفء شمس الحرية يسرى فى عروقهم بعد ليل طويل مظلم بارد فهوت الاحزاب السياسية تتكون وبدأت الديموقراطية بكل معانيها الجميلة ، وهى الشورى ، وحكم الشعب ، وصوت الشعب من صوت الله .

وهنا لابد ان اقف وقفة هادئة متأنية فى هذا الشارع المصرى العتيد لاتطلع الى أهله بعين الوطنية الصادقة ، ان المقصود بهذه العبارة السياسية المستحدثة ، ابناء مصر الاصلاء الاوفياء سواء أكانو من لابسى البدل او الجلاليب وسواء أكانوا من الاغنياء الذين انعم الله عليهم بالرزق الحلال ، فهو سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ، ويعطى **بغير حساب ، فديننا الحنيف لايتعارض** ابدا مع الثراء ، وهاهو ذا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، يزوج **ابنته رقية من مليونير « بأسلوب هذا العصر »** واعنى به صاحب رسول الله المقرب والخليفة الثالث الراشد عثمان **ابن عفان ، ولما انتقلت رقية الى** رحمة الله ، زوجة النبى الكريم من **اختها أم كلثوم ، ولهذا** سمى عثمان بذى النورين ، أوكان أهل الشارع المصرى من الفقراء الذين بهم خصاصة فان الله وحده هو الذى يعطى ويمنع ، **وهو الذى يبسط ويقدر ،ويقدر هنا معناها انه** يعطى الرزق بمقدار ، وليس من المهم ان يكون أهل الشارع المصرى من حاملى الشهادات العلمية الرفيعة ، أو من حاملى شهادات الميلاد فحسب ... انما المهم ان يكونوا من حاملى الفطرة السليمة المؤمنة بربها ووطنها .

ومع عودة الديموقراطية وممارستها **جاء حزب الوفد الجديد ،** وفرحت طائفة كبيرة من المصريين بعودة هذا الاسم الذى افتقدوه فترة طويلة من الزمان نتيجة لحكم النظام الثورى ، **وهو أمر بدهى ،ولكن الامر العجيب اللافت للنظر** أن الذى يحيد النظام الديموقراطى الحزبى هو الرجل الذى اعلن بلسانه قيام الثورة فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من الاذاعة المصرية !

وهذا بصريح العبارة معناه ان السادات رجل يعشق الحرية ولو كان يلبس زيا عسكريا ، ومواقف السادات..

المتعددة عندما كان يشرف على قطاع الصحافة خير دليل على انه يؤمن بحرية الكلمة ، ولكن ليست اى كلمة ، بل الكلمة الصادقة ، الكلمة الطيبة ، تلك الكلمة التى قال عنها نبى الاسلام ، صلوات الله عليه « الكلمة الطيبة صدقة » .

اقول ان المصريين اغتبطوا من غير شك بعودة « الوفد » — ولو ان لى رأيا مخالفا فى تسمية حزب الوفد الجديد — ولكنهم لم يكادوا يبدون سرورهم ، ويعبرون عن غبطتهم ، حتى استولت عليهم الدهشة ، الدهشة الكبيرة المصحوبة بالاكتئاب .. فتكوين الوفد الجديد لم يلق صدى طيبا لدى غالبية المصريين .

لقد تكون الوفد الجديد من خليط غير متجانس ، مجموعة من العناصر المتباينة كل التباين ، فقد رأينا فيه الى جانب الوفديين ، عددا من المستقلين وعددا من رجال الاحزاب القديمة الاخرى التى عرفت بعدائها التقليدى للوفد ، وعددا من « مناولة » مصر الفتاة ، ذلك الحزب الثائر الذى كان أول من نادى بالاشتراكية فى مصر واول من اصدر صحيفة لا كلام فيها ولكن كلها صور فوتوغرافية ، وفوقها عنوان ذكى « رعاياك يا مولاى » .. كما رأينا فى تكوين الوفد الجديد عددا من الاخوان المسلمين ، تلك الجماعة التى قامت على الدين والتى تنادى بأن يكون الحكم للقرآن وحده ، ورأينا فى نفس الوقت عددا من الشيوعيين الماركسيين الملحدين الذين ينكرون وجود الله ... ! كما وجدنا ايضا عددا من اليساريين الوطنيين .

وهنا أسأل : هل كانت مبادىء الوفد الذى عرفناه منذ طفولتنا واحببناه تسمح بانضمام هذه العناصر المتنافرة الى عضويته ؟ .

وهنا يبرز لى هذا المعنى على الرغم منى ، المعنى الذى يوحى بأن قيام الوفد الجديد على تلك الصورة غير المتجانسة ، كان مقصودا به مناوأة النظام الحاضر اكثر من مشاركته فى الحياة السياسية السليمة المؤسسة على الحكم النيابى وهو حكم الشعب عن طريق الانتخاب النزيه .

واحقاقا للحق فأنى ابرىء كبار رجال الحزب من ان يخطر فى اذهانهم ذلك المعنى الخبيث الذى لايقوم على اساس وطنى فقد يكون ماحدث بشأن تكوين الحزب وعضوية الحزب ، قد حدث عفوا .. ولا احب ان اقول انه حدث نتيجة لنشاط خفى قامت به « مراكز قوى » من نوع جديد داخل الحزب الجديد .

ولكن ما الذى حدث بعد ظهور نتيجة الاستفتاء الاخير ؟ بل ما الذى كان يحدث قبل ان يفكر المسئولون فى اجراء الاستفتاء ؟ ان عين الحكومة كانت ساهرة ، وكانت على علم بما كان يجرى خلف الكواليس ، الوفد الجديد .. نعم وحبا وكرامة ... ولكن العناصر المدسوسة فلا وألف لا ... !

وهنا دعونا نتحدث قليلا عن واجب الحكومة ، اى حكومة .. ان واجبها الاول هو حفظ نظام الحكم ، سواء أكان هذا النظام أبيض أم احمر أم أسود ، ان واجبها الاول هو حفظ الامن والامان ، وسيادة القانون ونشر الانضباط . ذلك هو أول واجبات الحكومات ولا يمكن لمجادل ان يجادل فى هذا ، والدليل على ذلك انه لو قام انقلاب فى بلد ما ، ضد النظام الحاكم ونجح هذا الانقلاب فان حكومة الانقلاب تصبح هى الحكومة الشرعية ، وتعمل بكل ماتملك من قوة على استتباب الامن والنظام ، نظامها هى الذى كان بالامس محرما ويقع تحت طائلة القانون ... !

لست اعلم الظروف التي تم فيها حل **حزب الوفد الجديد ، أي أنني لاأعرف** المناخ الذهنى الذى كان يسيطر على رجال الوفد الجديد الذين قرروا حله. ولكنى اعرف ان المصريين قد استولت عليهم الدهشة والاكتئاب للمرة الثانية ... وزادت دهشتهم عندما طالعوا فى صحيفة « الاهرام » بتاريخ ٩-٦-١٩٧٨ . مقالا للاستاذ احمد يوسف الجندى وهو عضو مؤسس فى حزب الوفد الجديد ، وهو يقول فى مقاله ان احدا لم يدعه للنظر فى اصدار قرار حل حزب الوفد الجديد !

انا لم اتعود الخوض فيما لا اعرف ولكن الذى أعرفه ، وأعرفه جيدا ، هو ان كبار المسئولين من الوفد الجديد يمتازون بفضيلة الكفاح والجهاد والصمود ومواجهة الاحداث .. فكيف سمحت لهم انفسهم بالموافقة على حل الحزب بمثل هذه السهولة وهذه السرعة !

أليست الحياة كفاحا وجهادا ، والويل فيها للكسالى والخاملين

واعود فأقول ان السادات رجل يصدق مع نفسه ، فقد رأينا كيف تصرف مع زملائه من رجال الثورة ، فلا أقل من أن يتصرف الان مع رجال الاحزاب ، وهم ليسوا اقرب اليه من رفقائه فى السلاح ... !

انا لا ادافع عن السادات ، ولكنى اوضح انه يكيل بنفس المكيال مع من يعرف ومن لا يعرف مع القريب ومع البعيد ، فهو رجل لايناقض نفسه ، ان الاستفتاء والقوانين التى تبعته اعمال دستورية مائة فى المائة ، من الجائز أنها قد لا تروق بعض النفوس وهذا أمر بدهى بل طبيعى ، فالقرآن نفسه وهو كتاب الله ، يرفضه الشيوعيون على سبيل المثال .

لقد ظل الوفد المصرى القديم صرحا شامخا تلتف حوله الامة ، على الرغم من خروج عدد كبير من اعضائه ، وتكوينهم احزابا سياسية مستقلة عن الحزب الام ، مثل حزب الاحرار الدستوريين والهيئة السعدية ، والكتلة الوفدية ، وحزب الشعب، كما انفصلت عنه صحف لها ثقلها مثل « البلاغ » و « روز اليوسف » ، وكتاب كبار مثل عباس محمود العقاد .. اقول على الرغم من كل ذلك ، فقد بقي « الوفد » صرحا شامخا فى ضمير الامة ، تهفو اليه النفوس ... ورحم الله زمانا كان الفلاح المصرى ينتخب « سعد زغلول » وكان سعد قد انتقل الى جوار الله منذ زمن طويل ... ! ورحم الله زمانا كان الهتاف فيه « يحيا الوفد ولوفيها رفد » ... !

اقول لكم الحق ، انى مقتنع بكلمة **الاستاذ أحمد يوسف** الجندى التى جاءت فى مقاله سابق الذكر ، فقد قال سيادته : « ان الوفد الجديد كان أملا جديدا فى استمرار التجربة الديموقراطية بخلق توازن حزبى يؤدى الى استقرار سياسى .. ولكن الوفديين القدامى لم يغيروا اسلوبهم ولم تتحمل طاقتهم التجربة وعادوا الى السلبية ».

وهل هناك سلبية اكثر من حل الحزب ، وهدم ذلك البناء الشامخ ؟! يقولون : ان خطوة حل حزب الوفد الجديد حركة بارعة لاحراج الحكومة.. ولكنى اتساءل أين هو هذا الاحراج ؟ بقدر ما انكرت ذلك الخليط المتنافر فى تكوين حزب الوفد الجديد ، بقدر ما انكرت اجراء حله ... والان من لنا بعض التساؤلات :

هل الحزب - اى حزب - مقصور بقاؤه ببقاء مؤسسيه ؟

هل مات « الوفد » بوفاة سعد زغلول مثلا ؟

ومن هذا المنطلق تبرز اسئلةاخرى:

هل يقول رجال الوفد الجديد بتصحيح الاوضاع فيما بينهم على اساس وطنى سليم لا يتعارض مع الدستور ، ذلك الدستور الذى اتى بالديموقـراطية الحزبية ؟

وهل يبقى مناضل معروف مثـل الاستاذ الدكتور محمد حلمى مراد فى الحظيرة الوفدية وهو قطب « مصر الفتاة » الكبير ؟

الا تدعوه اشادة الرئيس السادات بمصر الفتاة الى التفكير فى عـودة حزبه المحبب الى نفسه فيشرع فى بذل جهده من اجل حزبه ، بدلا من ان يبذله من اجل حزب آخر ؟

ان الشارع المصرى يطالب المصريين جميعا ، على أختلاف الوانهم وميولهم ومذاهبهم وعقائدهم ، ان يكون عملهم من اجل مصر وحدها ، فالوطن باق اما الاشـخاص فالى فناء .

حسن سالم

سفير سابق